



في رحاب القرآن

آيات وأحاديث في ذكر جلال الله وجماله، ووصف صفات الرسول ﷺ
والأنبياء والملائكة والمؤمنين والمتقين، وذكر الجنة والنار، ووصف إبليس
والشياطين



فهرس المحاور

الأول: جلال الله وجماله

الثاني: الرسول ﷺ

الثالث: الأنبياء

الرابع: الملائكة

الخامس: المؤمنون

السادس: المتقون

السابع: الجنة

الثامن: النار

التاسع: وصف إبليس والشیاطین





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي جعل كلامه شفاءً لما في الصدور، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على من بُعث بالبيان تبياناً لكل شيء، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فهذا كتيب صغير الحجم، عظيم المقصد، يسعى أن يجمع بين يدي القارئ آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ الصحيحة، في تسعة محاور تبدأ من معرفة الخالق سبحانه، وتتم بمن اصطفاهم من خلقه: رسوله الكريم ﷺ، وأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين والمتقين، ثم تفضي إلى غايته المصير: جنة يُشتاق إليها، ونار يُستعاذ منها، وتُختم بالتحذير من العدو الأول: إبليس وجنوده.

اخترت لكل آية وحديث تأملاً أدبياً وجدانياً، يخاطب القلب بلغة الروح، مستلهماً عمق ابن القيم، وبيان الرافعي، وإشراق الغزالي.

حرصت في الأحاديث على الصحيح المتفق عليه أو المخرَّج في أحد الصحيحين، فما جاء من غيرهما نصصت على درجته، تحرياً للأمانة العلمية، وحذراً من أن يُنسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

فإن وجد القارئ في هذه الصفحات ما يُدني قلبه من ربه، أو يُذكره بنبيه وأنبيائه، أو يبعثه على التأسي بالمتقين، أو يشحذ فيه الخوف والرجاء، فذلك المقصود، والله من وراء القصد.

✽



الفصل الأول

جلال الله وجماله

من أسمائه الحسنى وآياته الدالة على صفاته العلا



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في أسماء الله الحسنى وصفاته



سورة الإخلاص • الآية 1 - 4

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

♦ التأمل

هو الله أحد. ليس أحداً كسائر

الآحاد التي تُعَدّ فتكثر، بل أحدية لا تقبل القسمة ولا الشريك ولا النظير. ثم يأتي الصمد، ذلك الاسم الذي نخني له كل الحاجات: هو الذي يُقصد في كل شدة، ولا يُقصد هو إلى أحد. كل موجود سواه محتاج مفتقر، وهو وحده الغني الذي لا يفتقر. ثم ينفي عن نفسه ما تفرضه طبيعة المخلوق: لم يلد فيكون له شبيه من نسله، ولم يولد فيكون له أصل يرجع إليه، ولم يكن له كفواً أحد فيدانيه في صفة أو كمال. هذه السورة الوجيزة تختصر عقيدة التوحيد كلها، ولذلك عدلت عند النبي ﷺ ثلث القرآن، لأن ثلث القرآن معرفة الله، وهذه السورة كلها في الله.



سورة الشورى • الآية 11

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ
الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا يَذُرُّوْكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

♦ التأمل

ليس كمثله شيء - كلمة تقف عندها العقول عاجزة، لا لأنها غامضة، بل لأنها تنفي عن الخيال أن يبلغ مداها. كل ما يخطر ببالك من صورة أو شبه أو تمثيل، فإله بخلافه. لا تشبه السماوات في علوها، ولا الأرض في اتساعها، ولا شيء مما خلق. ومع هذا التنزيه المطلق، يعقب الوصف باسمين: السميع البصير، فلا يُظن أن التنزيه يعني الغياب أو العجز، بل هو حاضر بسمعه وبصره في كل شأن، منزّه في ذاته، محيط بخلقه. هكذا يجمع القرآن بين تنزيهه عن الشبيه وإثبات كمال صفاته في آية واحدة، فلا تعطيل ولا تمثيل.



سورة الأنعام • الآية 103

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

♦ التأمل

لا تدركه الأبصار - نفى واحد يفتح باباً لعظمة لا حدود لها. كيف تحيط عين محدودة بذات غير محدودة؟ إن أعيننا تعجز عن الإحاطة بالشمس فكيف بخالقها؟ ثم يأتي المقابل: وهو يدرك الأبصار، فبينما تعجز أبصارنا عن إدراكه، هو محيط بكل بصر، عالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور. وختام الآية باسمين: اللطيف الخبير، يذكرك أن هذا الاحتجاب ليس بعداً ولا هجراً، بل لطف يرفق بالضعف البشري الذي لا يطيق مشاهدة عظمتة في الدنيا، وخبرة تعلم كل دقيقة من دقائق خلقه.



سورة النور • الآية 35

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ

تَمَسَّسَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

♦ التأمل

مثل عجيب يرسمه القرآن لنوره سبحانه: مشكاة، فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كإنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة زيتونة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. طبقات من النور فوق نور، تلتألاً حتى قبل أن تلمسها شرارة، كأن الهداية ذاتها مشتعلة بالفطرة قبل أن يمسه الوحي. وفي ختام الآية: يهدي الله لنوره من يشاء. فليس النور مبذولاً لكل أحد، بل هو منحة لمن استعد قلبه أن يكون مشكاة صافية تحمل ذلك الضياء.



الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾

♦ التأمل

الرحمن على العرش استوى - كلمتان تجمعان بين اسم الرحمة واستوائه فوق أعلى مخلوقاته، فلا يُظن أن العلو يعني القسوة أو البعد عن الرحمة، بل هو رحمن فوق عرشه، قريب برحمته وإن علا بذاته. ثم يمتد الوصف: له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فلا شبر من الوجود إلا وهو ملكه، ثم يغوص الوصف في أخفى الأخفى: وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، أي ما هو أخفى من السر، ما لم يخطر ببال صاحبه بعد. ويختتم بأعظم إثبات: لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى، فكل ما سبق من علو وإحاطة وعلم يصب في توحيده وحده.



هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسْبَحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

♦ التأمل

ثلاث آيات تتوالى فيها أسماؤه كموجة تلو موجة: عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الملك القدوس السلام، المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، ثم الخالق البارئ المصور. كل اسم نافذة تطل منها على وجه من وجوه كماله. الملك الذي لا يُنازع، القدوس المنزه عن كل نقص، السلام، المؤمن الذي صدق وعوده وأمن خلقه، المهيمن الرقيب على كل شيء، العزيز الذي لا يُغالب، الجبار الذي يجبر الكسير ويقهر الجبارة، المتكبر عن كل صفة نقص. ثم يُختم بثلاثية الخلق: الخالق الذي قدر، البارئ الذي أوجد من عدم، المصور الذي أعطى كل مخلوق صورته الخاصة. وبعد هذا الحشد من الأسماء: يسبح له ما في السماوات والأرض، فكأن الكون كله لسان واحد ينطق بتنزيهه.



سورة البقرة • الآية 186

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

♦ التأمل

من بين آيات الأحكام في سورة البقرة، تطل هذه الآية بدفء خاص: وإذا سأل عبادي عني فأني قريب. لم يقل: فقل لهم إني قريب، كما جرت العادة في سائر الأسئلة، بل أجاب مباشرة بلا واسطة، كأنه سبحانه يعجل الجواب لعبده المتشوق. أجيب دعوة الداع إذا دعان - وعد صريح لا يشترط وسيطاً ولا حجاباً بين العبد وربّه. ثم يأتي التكليف: فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي، فالقرب الإلهي يستدعي استجابة من العبد وإيماناً يليق بهذا القرب، لعلمهم يرشدون - فالرشد ثمرة هذا التواصل المباشر بين الداعي والمجيب.



سورة الأعراف • الآية 156 (جزء)

ج
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ

♦ التأمل

وسعت كل شيء - ثلاث كلمات تحمل الكون كله بين ذراعيها. رحمة لا يخرج عنها مؤمن ولا كافر، ولا إنسان ولا حيوان ولا جماد، فالمطر رحمة، والهواء رحمة، وبقاء الحياة على هذه الأرض رحمة مستمرة لا تنقطع. لكن الآية لا تقف عند العموم، بل تخصص بعدها: فسأكتبها للذين يتقون. فثمة رحمة عامة يشترك فيها الخلق جميعاً برهم وفاجرهم، ورحمة خاصة مذكورة للمتقين، تتضاعف في الدنيا وتكتمل في الآخرة. فمن أراد النصيب الأوفى من رحمة وسعت كل شيء، فليطلبها من بابها: التقوى.



يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

♦ التأمل

يا أيها الناس - نداء يخاطب كل إنسان دون استثناء، غنياً كان أو فقيراً، قوياً أو ضعيفاً: أنتم الفقراء إلى الله. فقر لا يزول بثروة ولا بجاه ولا بسلطان، لأنه فقر الوجود نفسه، فقر الحاجة إلى النفس الذي تنفسه، والقلب الذي ينبض بغير إرادتك، وكل لحظة بقاء أنت فيها محتاج إلى إذن قيوم لا يغفل. وفي المقابل: والله هو الغني الحميد - غنى مطلق لا تشوبه حاجة، وحمد مستحق ولو لم يحمده أحد، لأن كماله لا يتوقف على ثناء الخلق.

*

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

♦ التأمل

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - قرب لا تدركه المسافات، لأن حبل الوريد هو أقرب شيء إلى الإنسان من نفسه، أقرب من نبض قلبه وخفقان دمه. فكيف يكون قربه سبحانه أشد من هذا؟ إنه قرب العلم الذي لا يغيب عنه خافية، حتى لما توسوس به النفس قبل أن ينطق به اللسان. هذا

القرب ليس مكانياً يُقاس بالأمتار، بل هو إحاطة تامة بأدق تفاصيل الوجود الإنساني، حتى
الخواطر العابرة التي لا يعلمها صاحبها إلا حين تخطر.



سورة البقرة • الآية 255 (آية الكرسي)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

♦ التأمل

الله لا إله إلا هو الحي القيوم - اسمان يحملان كل معنى الحياة والقيام على كل شيء: حي حياة كاملة لا يعترها زوال، قيوم يقوم بنفسه ويقيم كل ما سواه. لا تأخذه سنة ولا نوم - تنزهه عن أدنى غفلة تعترى الأحياء، فهو دائم اليقظة على خلقه. له ما في السماوات وما في الأرض - ملك شامل لا يخرج عنه شيء. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه - حسم لكل تصور بشفاعة تُفرض عليه. وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما - سعة لا تُقاس، وحفظ لا يُتعبه. وهو العلي العظيم - ختام يجمع كل صفات الجلال في اسمين. هذه الآية، أعظم آية في كتاب الله، تكفي وحدها لمن أراد أن يعرف ربه.



هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

♦ التأمل

هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم - أربعة أسماء تحيط بالوجود كله من كل جانب: أول لا شيء قبله، آخر لا شيء بعده، ظاهر فوق كل شيء بظهره وعلوه، باطن أقرب من كل شيء بعلمه وإحاطته. أربعة أطراف يجتمع فيها ما لا يجتمع في تصور بشري: الأولية والآخريّة، الظهور والبطون، في آن واحد، لا تعاقب فيها ولا تناقض، لأنها كلها لله وحده.



سورة الرحمن • الآية 26 - 27

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

♦ التأمل

كل من عليها فان - حكم عام لا يستثني أحداً من أهل الأرض. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام - في مقابل هذا الفناء الشامل، بقاء واحد لا يتغير: وجه الله، ذو الجلال الذي يُهاب، والإكرام الذي يُرجى. هذان الاسمان، الجلال والإكرام، يجمعان بين وصفين: عظمة تُورث الخشية، وكرم يُورث الرجاء، وهما معاً عنوان هذا الكتیب كله.



سورة آل عمران • الآية 26

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

♦ التأمل

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير - سيادة مطلقة على كل ملك في الأرض، عطاءً ومنعاً، عزاً وذلاً، كله بيد واحدة لا تشاركها يد أخرى. إنك على كل شيء قدير - ختام يذكر كل من ملك أو حرم الملك أن الأمر كله بيد من لا يسأل عما يفعل.



سورة الأنعام • الآية 59

ج ج
*وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمٍ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

♦ التأمل

وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - إحاطة علمية لا يتخيلها عقل: ورقة تسقط من شجرة، حبة مدفونة في ظلمة الأرض، كل ذلك مكتوب معلوم قبل وقوعه. هذه الآية تعلم أن أدق تفاصيل الكون، مما لا يلتفت إليه إنسان، محفوظ في علم الله الذي لا يند عنه شيء.



المحور الثاني

أحاديث في أسماء الله الحسنى وصفاته



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»

رواه البخاري ومسلم

♦ التأمل

تسعة وتسعون اسماً، كل واحد منها باب من أبواب معرفة الله. ولم يقل النبي ﷺ: من حفظها، بل من أحصاها - والإحصاء أعمق من الحفظ، فهو أن تعقل معناها، وتعبّد الله بمقتضاها، وتدعوه بها. فمن أحصى اسم الرحيم دعا به عند الرجاء، ومن أحصى اسم الغفور استغفر به عند الذنب، ومن أحصى اسم القدير استعان به عند العجز. هذا الحديث يفتح للعبد طريقاً لا ينتهي في معرفة ربه، إذ في كل اسم من هذه الأسماء بحر من المعاني لا يُستنفد.



عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»

رواه البخاري ومسلم

♦ التأمل

وعد إلهي معلق على ظن العبد وحده. إن أحسنت الظن بربك في شدتك، وجدته عند حسن ظنك. وإن أيقنت بإجابته، وجدت الإجابة. هذا الحديث يضع مفتاح العلاقة بين العبد وربّه في يد العبد نفسه: فيقدر ما تعظّم رجاءك فيه سبحانه، يتحقّق لك من فضله. ثم يزيد المعية: وأنا معه إذا ذكرني -

فكل ذكره يلفظها القلب أو اللسان، تستدعي معية إلهية خاصة، سكينه تنزل، وطمانينة تحل، وأنس
يعقب الوحشة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»

رواه البخاري ومسلم

♦ التأمل

كتاب مكتوب فوق العرش، لا يُمحي ولا يُبدل: رحمتي سبقت غضبي. سبقاً لا يعني فقط التقدم الزمني، بل الغلبة والهيمنة. فهما بلغ غضبه على عاصٍ، تبقى رحمته أوسع وأشمل، تحيط بالغضب من كل جانب. هذا الخبر المكتوب فوق العرش قبل أن يُخلق الخلق، يطمئن قلب كل عاصٍ رجع إلى بابه: أنت لم تأتِ إلى رب يترصد غضبه، بل إلى رب سبقت رحمته كل شيء.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»

متفق عليه

♦ التأمل

كل ليلة، وفي ثلثها الأخير حين تبدأ الأصوات وينام أكثر الناس، يبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه: من يدعوني فأستجيب له. لا شرط معقد، ولا وسيط، ولا موعد يُحجز، فقط عبد استيقظ في جوف الليل، ورب ينزل نزولاً يليق بجلاله، يسأل خلقه: من يدعوني، من يسألني، من

يستغفري؟ هذا التكرار الثلاثي استجداء رحيم من الرب لعبده أن يطرق الباب، وكأن الليل كله
يهتف: تعالوا، الباب مفتوح، والعطاء جاهز.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «إذا تقرب العبدُ مني شبراً تقربتُ منه ذراعاً، وإذا تقربَ مني ذراعاً تقربتُ منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولاً»

رواه البخاري

♦ التأمل

معادلة عجيبة لا تشبه معادلات الدنيا: خطوة منك، تقابلها خطوات مضاعفة منه. شبر فذراع، فذراع فباع، فإذا هرولت إليه أذاك هرولة أسرع من هرولتك. هذا الحديث يكسر كل حساب بشري للجهد والعطاء، فالله سبحانه يستجيب لأدنى مبادرة من عبده بأضعافها كرمًا وفضلًا، وكأنه يقول لعبده: لا تستقل خطوتك مهما صغرَتْ، فأنا أقابلها بما لا تحتسب.



عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتهُ بينكم محرماً، فلا تظالموا»

رواه مسلم

♦ التأمل

قبل أن يُحرّم الظلم بين عباده، حرّمه على نفسه سبحانه. فمن كانت هذه صفته، كيف يُحشى منه جور أو حيف؟ هذا الإعلان الإلهي يرسّي قاعدة العدل الكامل في حكمه، فما يصيب العبد من ابتلاء أو قدر ليس ظلماً وإن خفيت حكمته، لأن من حرّم الظلم على نفسه لا يظلم مثقال ذرة. وفي

الوقت نفسه يوجّه الخطاب إلى عباده: فلا تظالموا، فمن اقتدى بهذا الاسم الإلهي عومل بمثله في معاملاته مع الناس.





الفصل الثاني

الرسول ﷺ

من صفاته وفضائله في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف الرسول ﷺ



سورة الأحزاب • الآية 21

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا

♦ التأمل

في رسول الله أسوة حسنة - ليست الأسوة هنا مثلاً معلقاً في السماء بعيد المنال، بل حياة كاملة عاشها بشر بين الناس، أكل وشرب ومشى في الأسواق وضحك وحزن وأحب وغضب، فصارت كل لحظة من لحظاته درساً يُقتدى به. من أراد الزهد وجد أسوته في بيت لا يشيع فيه من خبز الشعير ثلاثة أيام متتالية، ومن أراد الحلم وجد أسوته في عفوه يوم الفتح عن آذاه، ومن أراد الرحمة وجد أسوته في دموعه على قبر ابنه. هذه الأسوة مشروطة بشرط واحد لا يسقط: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فليست الأسوة زخرفاً تاريخياً، بل طريق لمن أراد النجاة.



سورة القلم • الآية 4

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

♦ التأمل

وإنك لعلی خلق عظیم - شهادة من الله لخلق رسوله، لا من صحابته ولا من أعدائه، بل من خالقه الذي يعلم سره وعلايته. لم يقل: خلق حسن، بل^٣ خلق عظیم، عظمة تناسب من اصطفی ليكون

خاتم الرسل. هذا الخلق العظيم لم يكن مقصوراً على مقام العبادة، بل امتد إلى بيته مع أهله، وإلى سوقه مع خصومه، وإلى ميدانه مع أعدائه. فمن أراد أن يعرف كيف يكون العظماء في أخلاقهم، فلينظر إلى من وصفه ربه بهذا الوصف الفريد، ولم يصف به أحداً سواه بهذه الصيغة المؤكدة.



سورة الأنبياء • الآية 107

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

♦ التأمل

رحمة للعالمين - لم يقل: رحمة للمؤمنين وحدهم، ولا رحمة للعرب وحدهم، بل للعالمين، فشملت رحمته المؤمن والكافر، الإنسان والحيوان، بل والجماد الذي بكى لفراقه كما بكى جذعه. رحمة تسع الصديق قبل العدو، وترحم الطفل الرضيع فتقصر الصلاة من أجل بكائه، وتوصي بالإحسان إلى العصفور والبهيمة. هذه الرحمة ليست شعاراً، بل هي جوهر الرسالة كلها، حتى إنه ﷺ حين سُئل أن يدعو على قوم آذوه، أجاب: إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة.



سورة آل عمران • الآية 159

فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَظْهَرْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

♦ التأمل

بعد هزيمة أحد، حين تفرق بعض من كان حوله، وخالفوا أمره، ونزل به وبأصحابه ما نزل من جراح وحزن، كان يمكن لأي قائد بشري أن يقسو أو يعاتب أو ينسحب غاضباً. لكن الآية تكشف عن سر ثباته: فبما رحمة من الله لنت لهم. لم يكن لينه ضعفاً، بل كان رحمة إلهية سكنت قلبه فسرت في تعامله. ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك - تحذير إلهي يعلم كل من يقود الناس أن الشدة تُفّر، وأن اللين حين يصدر عن رحمة صادقة هو الذي يجمع القلوب حول الحق.



سورة التوبة • الآية 128

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

♦ التأمل

من أنفسكم - كلمتان تحلان دفئاً خاصاً، فلم يرسل إليهم غريباً لا يعرف همومهم، بل واحداً منهم،
يعرف نسبهم وقبائلهم ولغتهم وأحزانهم. عزيز عليه ما عنتم - كل عنت يصيبهم يثقل عليه، حريص
عليكم - حرصاً يفوق حرص الأب على ولده، رءوف رحيم - صفتان من صفات الرحمن نفسه،
اختصه الله بهما تكريماً وتشريفاً. هذه الآية ليست وصفاً لرجل عظيم لحسب، بل هي رسالة لكل
قلب شعريوماً بالوحدة: أن هناك من حرص عليك حتى قبل أن تولد.



سورة الشرح • الآية 1 - 4

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

♦ التأمل

ألم نشرح لك صدرك - سؤال استفهامي يحمل معنى التقرير والتذكير، كأن الله يعيد لرسوله شريط الأيام الصعبة ليديه كيف كان معه في كل خطوة. ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك - حَمَل ثَقِيل رُفِع، وشرح للصدر منح السعة لكل ضيق. ورفعنا لك ذكرك - فأصبح اسمه مقترناً باسم الله في الأذان والشهادتين، يُذكر في كل مسجد وكل بيت، شرقاً وغرباً. هذه السورة القصيرة رسالة تسليية إلهية لكل من ضاق صدره يوماً: أن بعد كل عسر يسراً، وأن من ضاق به الحال قد يكون على أعتاب أعظم رفعة.



سورة الفتح • الآية 29

ج
 مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
 تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
 وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
 الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

♦ التأمل

محمد رسول الله - افتتاحية لا تذكر فيها صفة سوى الرسالة، لأن كل عظمته تصب في هذا المعنى.
 والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصف جامع لصحابته، فهم كالجسد الواحد: قسوة
 تُشهر في وجه الباطل، ورحمة تُبسط بين الإخوان. تراهم رُكَّعًا سُجَّدًا - صورة العبادة المستمرة،
 سيماهم في وجوههم من أثر السجود - نور يعلو الوجه ممن طال سجوده. ثم يُضرب لهم مثل الزرع
 الذي يخرج شطأه فيقوى ويستوي على سوقه، صورة نمو تدريجي يبهز الزرع، ليغيب بهم الكفار -
 أمة تبدأ ضعيفة ثم تشتد حتى تصبح مثار إعجاب وحيرة لخصومها.



مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

♦ التأمل

ما ضل صاحبكم وما غوى - قسم إلهي يسبق هذه الآيات ليؤكد أن صاحبهم - وما أجمل هذه الكلمة، صاحبكم، الذي عاش بينهم أربعين عاماً قبل الرسالة معروفاً بالصدق والأمانة - لم يضل عن الطريق ولا غوى عن الحق. وما ينطق عن الهوى - فكل كلمة ينطقها ليست نزوة نفس ولا هوى عابر، بل وحي من رب العالمين. هذه الآيات تتخاطب كل من شك يوماً في صدق الرسالة: انظروا إلى الرجل الذي عرفتموه صادقاً أميناً قبل أن يوحى إليه، هل يُعقل أن يكذب بعدها على ربه؟



سورة الأحزاب • الآية 40

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

♦ التأمل

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم - نفي لعلاقة نسب أراد بعض المشركين استغلالها للطعن في ختم النبوة، لكن رسول الله وخاتم النبيين - إثبات لمقام أعظم من أي نسب: أنه خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فسلسلة الوحي التي بدأت بآدم تنتهي به، وتكتمل به الرسالة، ويصبح كل ما بعده اجتهاداً في فهم ما جاء به، لا وحياً جديداً. هذا الختم ليس نقصاً، بل هو كمال، إذ لا حاجة لرسالة جديدة بعد رسالة اكتملت وحُفظت.



سورة آل عمران • الآية 31

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

♦ التأمل

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - معيار فاصل يضعه القرآن لكل من يدّعي محبة الله: ليست المحبة كلاماً يُقال، بل اتباعاً يُمارس. يحبكم الله - فالمحبة الإلهية ثمرة لا شرط مسبق، تُنال باتباع الحبيب المصطفى. ويغفر لكم ذنوبكم - فالاتباع طريق إلى المغفرة، لا مجرد طقس شكلي. هذه الآية تقطع الطريق على كل تدّين يدّعي محبة الله بلا اتباع لسنة رسوله، فتجعل الحب الحقيقي مقاساً بمدى القرب من هدي من أحبه الله واصطفاه.



المحور الثاني

أحاديث في وصف الرسول ﷺ



عن عائشة رضي الله عنها، سُئِلَتْ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»

رواه مسلم

♦ التأمل

سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ، فأجابت بجملة تختصر كل الوصف: كان خلقه القرآن. فمن أراد أن يعرف كيف كان يتعامل، فليقرأ آيات الرحمة يجدها في تعامله، وآيات العدل يجدها في قضائه، وآيات الصبر يجدها في ابتلائه. لم يكن القرآن عنده كلاماً يُتلى فحسب، بل كان حياة تُعاش، فتحوّل كل أمر ونهي فيه إلى سلوك ملهوس يراه من حوله قبل أن يسمعه. هذا التوصيف من أقرب الناس إليه، زوجه التي عاشت معه أدق تفاصيل حياته، شهادة لا تُضاهيها شهادة.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»

متفق عليه

♦ التأمل

أحسن الناس خلقاً - شهادة من أنس بن مالك، الذي خدمه عشر سنين، فلم يقل له فيها: أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا. عشر سنوات من القرب اليومي، من الصبي إلى الشاب، ولم يجد فيها إلا حسن الخلق. من يعرف طبيعة النفس البشرية يدرك أن

القرب الطويل عادة ما يكشف العيوب الخفية، لكن قرب أنس منه لم يزدده إلا يقيناً بحسن خلقه، فكانت شهادته من أصدق الشهادات على عظمة هذا الخلق.



عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خَيْرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه»

رواه البخاري

♦ التأمل

ما خَيْرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً - وصف دقيق لمنهج كامل في التعامل مع الناس: التيسير لا التعسير، ما لم يكن الأمر معصية فتستبعد الرخصة كلياً. هذا التوازن بين اليسر والورع سمة يندر اجتماعها: فكثير من الناس إما متساهل يبيع لنفسه كل شيء بحجة اليسر، أو متشدد يضيق على نفسه وعلى غيره بحجة الورع. أما هو ﷺ فكان يجمع بين أخذ الأيسر فيما أتيح، والابتعاد التام عما حُرِّم، فكان قدوة في التوازن بين السماحة والاستقامة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»

رواه الترمذي وحسنه الألباني

♦ التأمل

أحسنكم أخلاقاً - معيار القرب منه يوم القيامة ليس كثرة العبادة وحدها، ولا سعة العلم وحدها، بل حسن الخلق. وعد يفتح باباً للرجاء أمام كل من يجد نفسه مقصراً في نوافل العبادة لكنه يجاهد نفسه على حسن الخلق مع الناس. فمن أراد القرب من حبيبه يوم لا ينفع مال ولا بنون، فليبدأ من

هنا: بابتسامة صادقة، وكلمة طيبة، وصبر على أذى، فهذه هي العملة التي يُشترى بها القرب منه في أعظم يوم.



عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَعَجَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»

متفق عليه

♦ التأمل

مثل بديع يقرب به رسول الله مقامه من الأنبياء قبله: بيت أحسنه بناؤه، إلا موضع لبنة واحدة، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين. صورة تكشف عن ترابط الرسائل جميعاً، فكل نبي لبنة في صرح واحد، وليس هو نقضاً لمن قبله بل إتماماً له، حتى اكتمل البناء بخاتم الأنبياء. فن أنكر نبوته فكأنما نظر إلى بيت جميل ورفض أن يرى فيه لبنته الأخيرة التي أتمت جماله.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

متفق عليه

♦ التأمل

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين - شرط يضعه لمعنى الإيمان الكامل، لا لأنه يطلب حباً لذاته، بل لأن محبته طريق إلى محبة من أرسله. فمن أحب الوالد لبره، والولد لرحمته، وجب أن يكون حب من علمهم طريق الهداية أعظم من كل هذا الحب، لأنه السبب في نجاتهم من الضلال. هذا الحب ليس عاطفة عابرة، بل هو انعكاس لحب الحق الذي جاء به، وحب الطريق الذي دلّ عليه، وحب النجاة التي بشر بها.





الفصل الثالث

الأنبياء

من صفاتهم وفضائلهم في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف الأنبياء



سورة الأنعام • الآية 90

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلِهِمْ ^{قَدْ} أَقْتَدَ قُلٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

♦ التأمل

بعد سرد أسماء ثمانية عشر نبياً في الآيات السابقة، تأتي هذه الخاتمة الجامعة: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. أمر إلهي لخاتم الأنبياء أن يقتدي بهم جميعاً، لا بواحد منهم فحسب، فكأن في شخصه اجتمعت فضائلهم كلها: صبر أيوب، وحلم إبراهيم، وحكمة سليمان، وزهد يحيى. وفي هذا الأمر تكريم لكل نبي منهم، إذ صار الاقتداء به جزءاً من الاقتداء بخاتمهم.



سورة الأحزاب • الآية 7

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا

♦ التأمل

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم - ميثاق لم يؤخذ من عامة الناس، بل من صفوة الخلق: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، خصوصاً بالذكر من بين سائر الأنبياء تشریفاً لهم، وميثاقاً غليظاً - ثقيلًا في

وزنه، جاداً في التزامه، لا يحتمل التهاون. أن يُؤخذ على أعظم الخلق ميثاق بهذه الصفة، درس لكل من يحمل أمانة الدعوة أو العلم أو القيادة: أن حمل الرسالة عهد ثقيل، لا مجرد شرف يُتباهى به.



سورة الأحقاف • الآية 35

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ
يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَهَلْ يَهْلِكُ
إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ

♦ التأمل

فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل - أمر بالصبر، ومعه مثال أعلى يُحتذى: أولئك الذين صبروا أشد الصبر، نوح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وإبراهيم في النار وفراق ولده، وموسى على أذى بني إسرائيل، وعيسى على تكذيب قومه، ومحمد على حصار وهجرة وحروب. صبر أولئك ليس صبراً عادياً، بل عزم يقهر كل عارض، فسموا لذلك أولي العزم. وفي ختام الآية تسليية: كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، فكل صبر مهما طال، يهون حين يُقاس بلحظة عابرة أمام الأبدية.



سورة مريم • الآية 58

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا

♦ التأمل

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين... إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً - مشهد مؤثر يصف حال أعظم الخلق أمام كلام ربهم: لا وقوف متعالٍ، بل سجود وبكاء. هؤلاء الذين اصطفاهم الله من ذرية آدم ونوح وإبراهيم وإسراييل، مع كل ما نالوه من فضل ونعمة، كان أثر آيات الرحمن فيهم البكاء لا الغرور. من أراد قلباً خاشعاً، فليقتفِ أثر هؤلاء: كلما ازدادت علماً بالله، ازدادت خشوعاً لا تعالياً.



وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبْدِينَ

♦ التأمل

وجعلناهم أمة يهدون بأمرنا - إمامة ليست بالاختيار البشري ولا بالتوريث، بل بأمر إلهي مباشر.
وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - فالإمامة هنا ليست منصباً شرفياً، بل
مسؤولية عملية: فعل، لا قول فقط. وكانوا لنا عابدين - ختام يذكر أن كل هذه المقامات العالية لم
تُخرجهم عن جوهر العبودية الحقيقي، بل زادتهم تعلقاً بها.



وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصُرِ
﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ
عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

♦ التأمل

واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب - يبدأ الوصف بكلمة عبادنا، فالعبودية هي الوصف الأسبق على كل نبوة أو رسالة. أولى الأيدي والأبصار - قوة في العمل وبصيرة في الفهم، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار - إخلاص خاص جعل الآخرة حاضرة في قلوبهم دائماً لا تغيب. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار - اصطفاء وخيرية، ولكن عندنا، أي في ميزان الله لا في ميزان الناس.



سورة البقرة • الآية 136

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

♦ التأمل

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط... لا نفرق بين أحد منهم - إعلان إيماني يوحد بين جميع الأنبياء في التصديق والاحترام، لا تفضيل عصبي لني على نبي، ولا تعصب لني متأخر على نبي متقدم. هذا التوحيد في الإيمان بالأنبياء جميعاً هو ما يميز عقيدة هذه الأمة عن كل عقيدة أخرى ضيّقت دائرة الإيمان على نبي واحد وأنكرت من سواه.



سورة النساء • الآية 69

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا

♦ التأمل

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
- وعد يفتح باباً للرجاء أمام كل مطيع، مهما بدا بعيداً عن مقام النبوة: أن طاعة الله والرسول
توصله إلى رفقة هؤلاء الأربعة الأصناف. وحسن أولئك رفيقاً - ختام يصف جمال هذه الرفقة،
فليست الجنة نعيماً حسيّاً فحسب، بل رفقة أرواح طاهرة.



سورة الأنعام • الآية 112

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

♦ التأمل

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن - سنة إلهية ثابتة لا تتخلف: لكل نبي عدو، فليست معادة الحق للرسل استثناءً يستدعي الحيرة، بل قاعدة تتكرر مع كل رسالة. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا - تحالف على تزيين الباطل، لكن الآية تحتم بتسليّة: ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون - فلا يقلقن نبي ولا داعية من عداوة يلقاها، فهي سنة من سبقه من الرسل جميعًا.



سورة الأنبياء • الآية 25

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - جوهر واحد يجمع كل الرسائل عبر التاريخ، مهما اختلفت شرائعها وتفاصيل عباداتها: التوحيد. فمن آدم إلى محمد ﷺ، كانت الدعوة الأولى في كل رسالة واحدة: اعبدوا الله وحده. هذا الجوهر الواحد هو الخيط الذي يربط كل الأنبياء في سلسلة واحدة.



المحور الثاني

أحاديث في وصف الأنبياء



عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ،
أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ»

متفق عليه

♦ التأمل

الأنبياء إخوة لعلات - تشبيه بديع من أبناء أب واحد وأمّهات مختلفات، فأصل الدين واحد وإن تعددت الشرائع والأزمنة والأمم. هذا التشبيه يزيل أي تصور بأن الأنبياء جاءوا بأديان متناقضة، بل هم إخوة في جوهر الرسالة. من فهم هذا الحديث أدرك أن الإيمان بنبي لا يستقيم دون الإيمان بإخوته من الأنبياء جميعاً.



عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما قسم قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فقال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر»

رواه البخاري

♦ التأمل

حين اتهم النبي ﷺ ظلماً في قسمته، اغتم لهذا الاتهام الجائر، فقال: يرحم الله موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر. لم يجد لنفسه تسليّة إلا بذكر من سبقه من إخوانه الأنبياء وما لقوه من أذى

أعظم. هذا التذكر ليس هروباً من الألم، بل استحضار لرفقة الصابرين الذين مروا بمثل هذا الطريق،
فوجد في سيرتهم عزاءً وقوة لمواصلة الطريق.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء الطويل: «... فإذا موسى رجل آدم طويل سبط كأنه من رجال شنوءة... وإذا عيسى ابن مريم ربةً أحمر كأنما خرج من ديماسٍ... وإذا إبراهيم أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه»

متفق عليه

♦ التأمل

في رحلة الإسراء والمعراج، وصف النبي ﷺ من رآهم من إخوانه الأنبياء وصفاً دقيقاً: موسى رجل آدم طويل، وعيسى ربة أحمر، وإبراهيم أشبه الناس به هو نفسه. هذا الوصف الحسي الدقيق يمنح هؤلاء الأنبياء حضوراً واقعياً ملموساً، لا مجرد أسماء مجردة في كتاب، بل رجال ذوو ملامح وهيئات، التقى بهم خاتم الأنبياء وجهاً لوجه في رحلة لا تشبهها رحلة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة، نحن معاشر الأنبياء لا نورث»

متفق عليه

♦ التأمل

نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة - إعلان يضع الأنبياء جميعاً في مصاف واحد من الزهد عن الدنيا: لا يورثون مالاً كما يورث سائر الناس، بل كل ما يتركونه يعود صدقة للأمة. هذا

التجرد من حظوظ الدنيا حتى بعد الممات يؤكد أن رسالتهم لم تكن يوماً طلباً لملك أو ثروة تُورث
للأبناء.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مررتُ على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكتيبِ الأحمرِ وهو قائمٌ يصلي في قبره»

رواه مسلم

♦ التأمل

مررت على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكتيبِ الأحمرِ، وهو قائمٌ يصلي في قبره - مشهد يكشف طرفاً من حياة البرزخ: نبي مضى على وفاته قرون طويلة، وهو قائمٌ يصلي في قبره. هذا المشهد يفتح نافذة على حقيقة أن الموت ليس عدماً ولا انقطاعاً تاماً، بل انتقالاً إلى حياة أخرى، يستمر فيها الصالحون على أعمالهم التي أحبوها في الدنيا.





الفصل الرابع

الملائكة

من صفاتهم ووظائفهم في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف الملائكة



سورة فاطر • الآية 1

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

♦ التأمل

الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع - افتتاحية سورة تبدأ بالحمد، ثم تنتقل مباشرة لوصف مخلوقات لا تُرى: الملائكة، رسلاً بأجنحة متعددة، اثنين أو ثلاثة أو أربعة، يزيد في الخلق ما يشاء. هذا الوصف يفتح للخيال باباً نحو عالم غيبي منظم، دون أن يفصح القرآن عن كل تفاصيله، مكتفياً بالقدر الذي يورث تعظيماً لا فضولاً عابثاً.



سورة الأنبياء • الآية 19 - 20

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وصف لعبادة لا تعرف الملل ولا الفتور ولا التعب، عبادة مستمرة بلا توقف، ليلاً ونهاراً، بلا كلل يعتري النفس كما يعتري الإنسان. هذا الاستقرار يذكّر العابد البشري بحدود طاقته، وأن مثل هذه العبادة الدائمة خاصة بمن جُبل على الطاعة المطلقة.



سورة التحريم • الآية 6

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

♦ التأمل

عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون - وصف مهيب لحراس النار، غلظة في التعامل تناسب المهمة، وشدة لا تلين، وطاعة مطلقة لا تعرف التردد: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. هذه الطاعة الكاملة تصور حجم الفارق بين إرادة الملائكة المستخرة كلياً لأمر ربها، وإرادة الإنسان التي مُنحت حرية الاختيار فحُمِلت المسؤولية.



سورة غافر • الآية 7

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ
بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ

الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا - مشهد مهيب للملائكة يحملون العرش، أعظم مخلوق، ومع ذلك تراهم مشغولين بالتسبيح لا بالتيه بعظمة موقعهم. ثم يستغفرون للذين آمنوا - دعاء من أقرب الخلق إلى الله لأبعدهم عنه مكاناً، في تكريم عجيب لعبد ضعيف لم يرهم ولا يعرف أسماءهم.



سورة الرعد • الآية 23 - 24

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

جنان عدن يدخلونها... والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم - مشهد استقبال في الجنة، لا يكتفى فيه بدخول الملائكة، بل من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم - تحية معللة، تربط النعيم مباشرة بالصبر الذي كابدته المؤمن في دنياه، فيدرك عندها أن كل لحظة صبر كانت تُكتب استعداداً لهذا الاستقبال الحافل.



سورة الأحزاب • الآية 56

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

♦ التأمل

إن الله وملائكته يصلون على النبي - شرف لا يضاهي: أن يقترن فعل الله بفعل ملائكته في الصلاة على رسوله، ثم يدعى المؤمنون للمشاركة: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. هذه الآية تجعل كل مؤمن مشاركاً في فعل يشترك فيه الله وملائكته، فكل صلاة يقولها المؤمن على نبيه انضمام إلى مقام رفيع لا يدرك كنهه.



سورة الزخرف • الآية 80

أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ
يَكْتُبُونَ

♦ التأمل

أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم بلَى ورسُلنا لديهم يكتبون - سؤال استنكاري لمن ظن أن حديثه السري بعيد عن العلم الإلهي، يليه إثبات مزدوج: سمع الله المباشر، وتوثيق الملائكة الكاتبين.

هذا الازدواج يقطع كل توهم بالغفلة، فحتى لو ظن الإنسان أن نجواه في الخفاء، فثمة رسل يكتبون كل كلمة.



سورة ق • الآية 17 - 18

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

♦ التأمل

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - رصد دقيق لكل كلمة تخرج من فم الإنسان، مرصود من رقيب حاضر لا يغيب. هذه الدقة في الرصد تعلم المؤمن أن يزن كلماته كما يزن أفعاله، فما من كلمة تخرج إلا وتجد من يسجلها بلا تأخير ولا نسيان.



وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَن يَسْمَعُوا سِرًّا
وَأَن يَخْبَرُوا بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِهَا ۚ وَبَعْضُهُمْ أَمْرُكُمْ
بِأَمْرٍ غَيْرِ مُبِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

♦ التأمل

وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون - ثلاثة أوصاف متتالية: حافظون يرصدون، كرام يليق بمقامهم التكريم، كاتبون يسجلون بدقة. علم مباشر لا واسطة فيه، فكل فعل يقع تحت أعين هؤلاء الكرام، الذين وإن كانوا يكتبون كل شيء، إلا أن كرمهم يعني أنهم يوثقون بأمانة لحساب سيُقام بعدل لا شماعة فيه.



يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَن
أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ

♦ التأمل

ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون - وصف لمهمة الملائكة الأعظم: حمل الوحي، الروح الذي به حياة القلوب، ينزل على من يشاء من عباده،

أي الأنبياء المصطفين. والرسالة واحدة رغم تعدد من نزلت عليهم: لا إله إلا أنا فاتقون.



المحور الثاني

أحاديث في وصف الملائكة



عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الطويل: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد... فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»

رواه مسلم

♦ التأمل

جاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منا، حتى جلس إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة. لم يكن سائلاً عادياً، بل كان جبريل عليه السلام، جاء يعلم الناس دينهم في صورة إنسان. هذا النزول الملائكي في هيئة بشرية ليُعلم، يكشف عن رحمة إلهية بالغة: أن يُرسل أعظم الملائكة معلماً لا يُفرّق بين جلالة مقامه وتواضع مهمة التعليم.



عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإنَّ الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رُضاً بما يصنع»

رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه الألباني

تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع - صورة تكريم رقيقة: أجنحة تُبسط لا تعظيماً لجاه أو سلطان، بل لخطوات طالب علم يسعى في طلب الحق. هذا الرضا الملائكي بطلب العلم يرفع من قيمة كل خطوة يخطوها طالب العلم إلى مجلس درسه، فكأن الطريق نفسه محل تكريم وبركة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»

متفق عليه

♦ التأمل

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً - مشهد يتكرر كل صباح، دعاء ملائكي مزدوج يوازن بين الإنفاق والإمساك. فمن أنفق ابتغاء وجه الله، وجد دعوة ملك ترافقه بالخلف، ومن أمسك بخلاً، لاحقه دعاء آخر بالتلف.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكةً سيّارةً فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا»

متفق عليه

♦ التأمل

إن لله ملائكةً سيّارةً فضلاء يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر، قعدوا معهم، وحفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا - مشهد يصور مجلس ذكر بسيط، وقد

أحاطت به أجنحة ملائكية تملأ ما بين الأرض والسماء. من ظن أن مجلسه صغير لا يلتفت إليه، فليعلم أن ملائكة سيّارة تبحث تحديداً عن مثل هذا المجلس.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال الملائكة تُصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»

متفق عليه

♦ التأمل

لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه - مكافأة على الجلوس بعد الصلاة، لا الصلاة نفسها فقط. من جلس منتظراً أو ذاكراً، وجد ملائكة تدعو له بالمغفرة والرحمة طوال جلوسه، بلا مقابل يقدمه سوى بقائه في مكانه.





الفصل الخامس

المؤمنون

من صفاتهم في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف المؤمنين



سورة المؤمنون • الآية 1 - 4

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
﴿٤﴾

♦ التأمل

قد أفلح المؤمنون - افتتاحية حاسمة، فلاح لا يحتمل الشك، ثم تأتي علاماته: الذين هم في صلاتهم خاشعون، خشوع لا في الجسد فقط بل في القلب الحاضر، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، بذل لا إمساك، أربع علامات تبدأ من صلة العبد بربه، لتمتد إلى صلته بلسانه، ثم إلى صلته بماله، رحلة متكاملة من الإيمان الباطن إلى السلوك الظاهر.



سورة الأنفال • الآية 2 - 4

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصلوة ومما رزقهم ينفقون ﴿٣﴾ أولئك هم المؤمنون حقا
لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿٤﴾

♦ التأمل

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وجل، خوف مقترن بحبة. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً - قلوب حية تتفاعل مع كل آية، لا تجمد ولا تعتاد. وعلى ربهم يتوكلون - اعتماد كامل بعد اجتهاد. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون - عبادة وبذل. أولئك هم المؤمنون حقاً - تأكيد مضاعف يقطع الطريق على كل ادعاء لا يقترن بهذه الصفات.



سورة التوبة • الآية 71

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

♦ التأمل

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض - رابطة ولاء متبادلة تتجاوز روابط النسب والجنس. يأمرُونَ بالمعروف وينهَوْنَ عن المنكر - مسؤولية جماعية متبادلة، لا مراقبة فردية منعزلة. ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله - منظومة متكاملة. أولئك سيرحمهم الله - وعد ختامي يربط كل هذا التكافل برحمة إلهية شاملة.



سورة الحجرات • الآية 15

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

♦ التأمل

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إيمان يليه ثبات، لا تنزله الشبهات ولا الفتن. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله - بذل شامل، المال والنفس معاً. أولئك هم الصادقون - ختام يجعل الصدق مرتبطاً بهذا المجموع: إيمان بلا ريب، وجهاد بلا تردد.



سورة الأحزاب • الآية 23

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

♦ التأمل

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً - وصف لثبات نادر: عهد قُطِع مع الله، والتزام به حتى النهاية، سواء بالاستشهاد أو بالانتظار الصابر. وما بدلوا تبديلاً - نفى قاطع لأي تحول أو تراجع.



هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

♦ التأمل

هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم - عطاء ينزل من فوق، لا يُكتسب بجهد بشري وحده: السكينة، ذلك الهدوء الداخلي الذي يثبت القلب وقت الاضطراب. وغايتها ليست مجرد الراحة النفسية، بل زيادة الإيمان، فكل سكينة تنزل هي درجة جديدة تُضاف إلى ما سبق.



الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ

♦ التأمل

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - جملة تختصر علاج كل قلق إنساني: ذكر الله. لا الثروة تطمئن القلب، ولا الجاه، بل ذكر الله وحده هو مصدر الطمأنينة الحقيقية. هذا التأكيد المزدوج يرفع الجملة إلى مصاف الحقيقة الكلية الثابتة، فن جرب القلق وبحث عن دوائه في كل مكان إلا في ذكر الله، لم يجد الشفاء التام.



وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ
وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

♦ التأمل

والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا - وصف يجمع بين فئتين: المهاجرين الذين تركوا ديارهم، والأنصار الذين آووهم ونصروهم. كلاهما مؤمن

حقًا، فالإيمان الحقيقي يظهر إما بالتضحية والهجرة، أو بالإيواء والنصرة، ولكل منهما فضله.



سورة النور • الآية 51

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

♦ التأمل

إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا - استجابة فورية بلا تردد ولا مساءلة، حين يكون الحكم لله ورسوله. وأولئك هم المفلحون - ربط مباشر بين هذه الاستجابة الفورية والفلاح، فكأن جوهر الفلاح يكمن في هذه اللحظة بالذات: لحظة القبول الكامل لحكم الله دون مساومة.



الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا
بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

♦ التأمل

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل - موقف يكشف عن معدن الإيمان الحقيقي: تهديد صريح، فكانت الاستجابة عكس المتوقع: لا خوف يُثبِّط، بل إيمان يزداد. حسبنا الله ونعم الوكيل - كلمة قالها إبراهيم في النار، وقالها المؤمنون هنا، فكانت لهم النجاة.



المحور الثاني

أحاديث في وصف المؤمنين



عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً» وشبكَّ بين أصابعه

متفق عليه

♦ التأمل

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه ﷺ حين قال هذا الحديث، فجعل من جسده نفسه مثلاً حياً لما يصفه. صورة البنيان تحمل معنى دقيقاً: كل لبنة تسند التي بجوارها، فإذا سقطت واحدة تأثر البناء كله. هذا التكافل ليس خياراً اجتماعياً عابراً، بل هو جوهر العلاقة بين المؤمنين.



عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثلُ المؤمنين في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمى»

متفق عليه

♦ التأمل

مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى - تشبيه حي ينقل الشعور الجماعي من مجرد تعاطف اجتماعي إلى اتحاد

عضوي. من فهم هذا الحديث أدرك أن معاناة أي مؤمن في أي بقعة من الأرض ليست بعيدة عنه، بل هي ألم يمسه في جسده الواحد الذي ينتمي إليه.



عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»

رواه مسلم

♦ التأمل

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير - تفضيل واضح للقوة، لكنه يعقبه فوراً: وفي كل خير، فلا يفهم منه انتقاص لضعيف صادق الإيمان، بل حث على السعي نحو القوة بكل أنواعها: قوة الجسد، وقوة العزيمة، وقوة العلم.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»

متفق عليه

♦ التأمل

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه - معيار دقيق لصدق الإيمان، لا يكتفي بعدم الإضرار بالآخرين، بل يشترط محبة الخير لهم كما تحبه لنفسك. هذا المعيار يرفع سقف الأخوة الإيمانية إلى مستوى نادر: أن تفرح لنجاح أخيك كما تفرح لنجاحك، فتزول الغيرة والحسد من قلب امتلاً بهذا المعنى.



عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له»

رواه مسلم

♦ التأمل

عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له - تعجب نبوي من حال فريدة: أن تتحول كل الأحوال،

سراء أو ضراء، إلى خير محض. ليس لأن الأحداث نفسها تتغير، بل لأن استجابة المؤمن لها هي ما يحول كل شيء إلى مكسب.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»

متفق عليه

♦ التأمل

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت - معيار بسيط لكنه عميق الأثر: ربط الإيمان مباشرة بضبط اللسان. ليس المطلوب الصمت المطبق، بل الاختيار بين كلام نافع أو سكوت سليم، فلا مجال لكلام يجرح أو يؤذي. هذا الحديث يجعل من كل كلمة يقولها المؤمن اختباراً مصغراً لإيمانه.





الفصل السادس

المتقون

من صفاتهم وجزائهم في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف المتقون



ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾

♦ التأمل

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين - افتتاح مهيب لأطول سورة في القرآن: كتاب لا يخالطه شك، لكنه هداية لا تنفح كل قارئ، بل تحديداً للمتقين. ثم تُفصل صفاتهم: يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وما رزقناهم ينفقون، يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.



*وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

وَالضَّرَاءَ وَالْكُظُمِينَ الْغِيظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ
 يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

♦ التأمل

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين - أمر بالمسارعة لا التباطؤ. ثم توصيف من هم المتقون: الذين ينفقون في السراء والضراء - عطاء لا يتوقف بضيق الحال، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس - عفواً يتجاوز الكظم إلى المسامحة الفعلية. ثم من وقع منهم في فاحشة أو ظلم، ذكروا الله فاستغفروا - فالتقوى لا تعني العصمة، بل سرعة العودة بعد الزلل.



سورة الطلاق • الآية 2 - 3 (جزء)

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
 يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ
 جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

♦ التأمل

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب - وعد يفتح أفقاً لكل من ضاقت به السبل: أن التقوى نفسها طريق للفرج، ومخرج من حيث لا يحتسب، أي من مصدر يفاجئه. ومن

يتوكل على الله فهو حسبه - كفاية كاملة لمن اعتمد على ربه بعد الأخذ بالأسباب. هذه الآية عزاء لكل من شعر يوماً أن أبواب الدنيا أغلقت في وجهه.



سورة الحجرات • الآية 13

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

♦ التأمل

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا - مخاطبة عامة للناس جميعاً،
تقرر أصلاً واحداً للبشرية كلها. ثم يأتي المعيار الحاسم: إن أكرمكم عند الله أتقاكم - لا النسب ولا
اللون ولا القبيلة، بل التقوى وحدها. هذا المعيار يهدم كل تراتبية بشرية مصطنعة، ويضع ميزاناً
واحداً يتساوى أمامه الجميع.



سورة الزاريات • الآية 15 - 19

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِيلٍ مَا
يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾

إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين - نعيم مرتبط بسبب سابق: الإحسان في الدنيا. ثم يُفَصَّل: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون - قيام ليل يسرق ساعات النوم، وبالأستحار هم يستغفرون، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم - بذل لا ينتظر طلباً، بل يبحث عن حرم فلم يسأل حياءً.



سورة البقرة • الآية 177

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - رد على من اختزل الدين في اتجاه القبلة وحده، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء. أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

سورة الأعراف • الآية 96

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

♦ التأمل

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وعد جماعي مشروط: لو تحققت التقوى في مجتمع بأكمله، لانفتحت عليه أبواب البركة من كل جهة. ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون - عاقبة التكذيب، فالبركة والحرمان مرتبطان بموقف جماعي من الحق، لا بمجرد حظ أو صدفة.



سورة آل عمران • الآية 76

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

♦ التأمل

بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين - جواب حاسم على من ظن أن الوفاء بالعهد مشروط بهوية الطرف الآخر: من أوفى بعهده مطلقاً، مع أي طرف، واتقى الله في وفائه، نال محبة الله. هذه الآية تجعل الوفاء بالعهد شعبة من شعب التقوى.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

♦ التأمل

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم - وعد ثلاثي لثمة التقوى: فرقان، أي قدرة على التمييز بين الحق والباطل حين تلتبس الأمور على غيرهم، وتكفير للسيئات، ومغفرة شاملة. هذا الفرقان هبة نادرة: بصيرة تُمنح لمن اتقى.



وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ

♦ التأمل

وأُزْلِفَتِ الجنة للمتقين - كلمة واحدة، أُزْلِفَت، تحمل معنى التقريب: لم تُذكر الجنة بعيدة يُشار إليها من بُعد، بل قُرِبَتْ حتى تكاد تُرى. هذا التقريب يوم القيامة، حين تشتد الأهوال، يكون فيه للمتقين هذا المشهد المطمئن: جنة اقتربت منهم، لا ينتظرون رحلة طويلة إليها.



المحور الثاني

أحاديث في وصف المتقون



عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَحُفُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ»

رواه الترمذي وأحمد، وحسنه الألباني

♦ التأمل

اتق الله حيثما كنت - وصية جامعة لا تخص مكاناً دون آخر: في الخلوة كما في الجماعة. وأتبع السيئة الحسنة تحمها - علاج عملي لمن أخطأ، لا يأس ولا استسلام. وخالق الناس بخلق حسن - تنويع التقوى بحسن التعامل مع الخلق، فلا تكتمل التقوى بصلاح باطن دون حسن ظاهر في المعاملة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، التَّقْوَى هَاهُنَا» وأشار إلى صدره ثلاث مرات

رواه مسلم

♦ التأمل

التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره ثلاث مرات، إشارة موجزة تختصر كل تعريفات التقوى: إنها فعل قلبي أولاً، لا مظهر خارجي فحسب. سبق هذه الإشارة قوله: كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، فربط التقوى القلبية مباشرة بحزمة أخيه المسلم، ليقول إن أصدق دليل على تقوى القلب هو احترام حقوق الآخرين لا انتهاكها.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»

رواه مسلم

♦ التأمل

إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم - معيار يقلب موازين الدنيا رأساً على عقب: لا الجمال معيار، ولا الثروة، بل القلب والعمل. من انشغل بتجميل مظهره وأهمل قلبه، خسر الميزان الحقيقي الذي يُقِيم به عند الله.



عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»

متفق عليه

♦ التأمل

اتقوا النار ولو بشق تمرة - وصية تجعل الوقاية من النار في متناول كل يد، مهما كانت فقيرة. لا يُشترط مال وفير، بل شق تمرة، أقل ما يمكن تصور بذله، كافٍ ليكون درعاً. هذا التيسير النبوي يفتح باب الأمل أمام كل معدم.



عن المستورد بن شداد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه في اليمِّ، فلينظر بمَ ترجعُ» وأشار بالسبابة

رواه مسلم

♦ التأمل

ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليمِّ فلينظر بمَ ترجع - تشبيه محسوس: أصبع تُغمس في بحر شاسع، ثم تُرفع، فما علق بها من ماء لا يُقارن بما بقي في البحر. هذه هي الدنيا كلها أمام اتساع الآخرة. من استحضر هذا التشبيه، هان عليه كل حرمان دنيوي.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كانت الآخرة همه جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»

رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني

♦ التأمل

من كانت الآخرة همه جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة - وعد لمن جعل الآخرة غايته الكبرى: جمع شمل بعد تشتت، وغنى قلبي يفوق كل غنى مادي، ثم تأتيه الدنيا نفسها راغمة، أي دون أن يسعى إليها بذل. هذا الحديث يقلب المعادلة التي يظنها كثيرون: أن من ترك الدنيا لآخرته خسر دنياه.





الفصل السابع

الجنة

من وصفها ونعيمها في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف الجنة



سورة محمد • الآية 15

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ
عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ

♦ التأمل

مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن - ماء لا يتغير طعمه ولا يفسد. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين - لذة خالصة بلا صداع ولا ندم، وأنهار من عسل مصفى - صفاء لا شائبة فيه. أربعة أنهار من أربعة أصناف، كل نهر يفيض بلا نضوب، في صورة تفوق كل ما عرفه الإنسان من أنهار الدنيا المحدودة.



سورة السجدة • الآية 17

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

♦ التأمل

فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - آية تمتنع عن التفصيل عمداً، فترك الخيال البشري عاجزاً عن بلوغ حقيقة ما أخفي. لم يُقل: أعطوا كذا وكذا، بل أخفي، فعل يوحي بأن هذا النعم أعظم من أن يوصف بكلمات الدنيا. هذا الإخفاء نفسه أبلغ من أي وصف تفصيلي، فيترك القلب في شوق لا ينقطع نحو ما لم يره ولا سمع به.



سورة يس • الآية 55 - 58

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا
يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

♦ التأمل

إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - انشغال بالنعيم لا بالهم، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون - راحة كاملة. لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون - كل ما يتمنونه حاضر بمجرد الطلب. وختاماً: سلام قولاً من رب رحيم - تحية مباشرة من الله نفسه، لا واسطة فيها، أعظم لحظة يمكن أن يبلغها العبد: أن يسمع سلاماً يخاطبه به ربه مباشرة.



سورة الزخرف • الآية 71

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ^{صَلٰ}وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

♦ التأمل

يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين - خدمة متنقلة تأتي إليهم دون طلب، وأواني من ذهب لا تصدأ ولا تفسد. وفيها ما تشتهيهِ الأنفس - كل رغبة داخلية محققة، وتلذ الأعين - جمال بصري يضاف إلى المتعة الحسية. وأنتم فيها خالدون - ختام يزيل أي قلق من زوال هذا النعيم.



سورة الحجر • الآية 45 - 48

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ
﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ
مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ

﴿٤٨﴾

إن المتقين في جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمنين - أمن مطلق، لا خوف يعكر الدخول. ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين - نزع كامل لكل حقد أو ضغينة كانت بين المؤمنين في الدنيا، فيتحولون إلى إخوان متقابلين. لا يسهم فيها نصب وما هم منها بخارجين - راحة أبدية بلا تعب ولا خروج.



سورة فاطر • الآية 33 - 35

جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا^ط
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا
الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير - زينة كاملة. وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن - أول ما ينطقون به: حمد على زوال الحزن، لا على الزينة، فكأن أعظم نعمة عندهم زوال ما كان يثقل قلوبهم في الدنيا. الذي أحلنا دار المقامة من فضله - إقامة دائمة لا رحيل بعدها.



إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ
نَزْلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

♦ التأمل

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً - أعلى درجات الجنة، وصفت بـ
نزلاً، أي ضيافة أعدت مسبقاً لضيوف متوقعين، لا مفاجأة عارضة. خالدين فيها لا يبتغون عنها
حولاً - لا يريدون عنها تحولاً ولا بديلاً، فمن بلغ الفردوس لم يعد يشق إلى شيء آخر.



وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّمَ فَاَدْخُلُوهَا
خَالِدِينَ

♦ التأمل

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين - مشهد استقبال مهيب: زمرًا، أي جماعات جماعات، فيها إحياء لمعنى الأخوة

حتى في لحظة الدخول. أبواب تُفتح مسبقاً، وخزنة يستقبلون بالتحية: سلام عليكم طيِّب
لنفوسهم بعد رحلة طويلة.



سورة البقرة • الآية 25

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا
مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ

♦ التأمل

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار - بشارة مقترنة بشرطين:
إيمان وعمل صالح معاً. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقوا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل - تشابه مألوف
يبعث الطمأنينة. ولهم فيها أزواج مطهرة - طهارة كاملة من كل نقص، وهم فيها خالدون.



﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

♦ التأمل

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها - ديمومة في كل شيء: أنهار لا تجف، ثمار لا تنقطع، وظل لا يزول. تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار - مقارنة ختامية حاسمة تضع النهايتين جنباً إلى جنب، ليدرك القارئ حجم الفارق بين المصيرين.



المحور الثاني

أحاديث في وصف الجنة



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»

متفق عليه

♦ التأمل

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر - إعلان إلهي يتجاوز حدود الوصف كلياً. هذا النفي الثلاثي - البصر والسمع والخيال - يقطع الطريق على كل محاولة بشرية لتصوير هذا النعيم بأدوات الدنيا المحدودة، ويترك القلب في شوق يتجاوز كل ما عرفه من متع.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنةِ مائةِ درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»

رواه البخاري

♦ التأمل

في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض - وصف يكشف عن اتساع الجنة الهائل. هذا الاتساع يزيل أي تصور ضيق للجنة كمكان واحد متماثل، بل هي منازل متفاوتة تليق بتفاوت الأعمال والدرجات.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضواء كوكب دري في السماء»

متفق عليه

♦ التأمل

أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضواء كوكب دري - وصف بصري مبهر لأهل الجنة: نور يتفاوت حسب الدرجة، من القمر في اكتماله، إلى الكواكب في تلاؤلها. تكريم يشمل كل تفصيل، حتى صورتهم ونورهم الذاتي.



عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»

رواه البخاري

♦ التأمل

الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك - قرب مذهل: مسافة أقل من شسع نعل يخطو فوقه الإنسان دون انتباه. هذا القرب المزدوج، للجنة وللنار معاً، تذكير أن الفارق بين المصيرين ليس بعيداً كما يُحَيَّل، فلا استهانة بصغائر الأعمال.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّامِلِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا»

رواه مسلم

♦ التأمل

إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً - مشهد اجتماعي أسبوعي في الجنة، لا مجرد سكون أبدي، بل حركة ولقاء وتجدد. الجمال نفسه يتجدد بلا تصنع ولا جهد، بمجرد نسمة ريح.



عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مات وهو يعلمُ أنه لا إلهَ إلا اللهُ دخل الجنةَ»

رواه مسلم

♦ التأمل

من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة - معيار جوهري يختصر شرط الدخول الأساسي: التوحيد الخالص حتى الممات. لا يُشترط هنا كمال الأعمال، بل خلو القلب من الشرك عند آخر لحظة من الحياة. هذا الحديث يفتح باباً واسعاً من الرجاء لكل موحد، مهما كثرت ذنوبه.





الفصل الثامن

النار

من صفتها وعذابها في القرآن والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في وصف النار



فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

♦ التأمل

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة - وصف يهز التصور المعتاد للوقود: ليس حطباً يحترق، بل الناس أنفسهم والحجارة، ما يوحي بضخامة لا تُقاس بمقاييس نار الدنيا. أعدت للكافرين - إعداد مسبق، لا عشوائية فيه، فالنار ليست عقوبة ارتجالية، بل جزاء محسوب لمن اختار الكفر عن بينة.



*هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ
ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يَصْهَرُ
بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ

﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

♦ التأمل

هذان خصمان اختصموا في ربهم - خصومة حول الحق نفسه. فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار، يصب من فوق رؤوسهم الحميم - ماء حارق ينزل من أعلى، يُصهر به ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها - محاولة هرب متكررة، ورد متكرر، فلا مفر.



سورة إبراهيم • الآية 49 - 50

وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ

قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾

♦ التأمل

وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد - مكبلين، لا حرية حركة، سراويلهم من قطران - ثياب من مادة سريعة الاشتعال، لنزعة، مهيئة، وتغشى وجوههم النار - النار تغطي أشرف عضو في الجسد: الوجه. هذا الوصف يجمع بين القيد الجسدي والعار الذي يلحق بالوجه، أكثر الأعضاء دلالة على كرامة الإنسان.



بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ^طوَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

♦ التأمل

بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً - عذاب مرتبط تحديداً بتكذيب اليوم الآخر. إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً - النار نفسها توصف بالغضب والتنفس الغاضب، حتى قبل أن يقتربوا منها، فمجرد رؤيتها من بعيد كافٍ لسماع صوت غضبها.



وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ^طوَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا
أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ^ط
كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾

♦ التأمل

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير. إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور - صوت كصوت الحيوان المكروب، وغليان مستمر. تكاد تميز^٨ من الغيظ - تكاد تنقطع من شدة غضبها. كلما

ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير - سؤال توبيخي يذكرهم أن التحذير قد وصلهم، فلا عذر
بجهل.



سورة الزخرف • الآية 74 - 77

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ
﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ
﴿٧٧﴾

♦ التأمل

إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفترون عنهم - عذاب بلا استراحة، وهم فيه مبلسون - يأس
مطبق. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين - تأكيد على أن العذاب نتيجة اختيارهم. ونادوا يا
مالك ليقض علينا ربك - نداء أخير يطلبون فيه الموت هرباً من العذاب، قال إنكم ما كنتم - رد
قاطع يقطع كل أمل في نهاية.



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمًا

♦ التأمل

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب - تجديد متعمد للألم: كلما احترق الجلد وفقد إحساسه، استُبدل بجلد جديد يستعيد الإحساس الكامل، فلا يتوقف الألم عند حد التخدير الذي يصيب الحروق عادة. إن الله كان عزيزا حكيما - ختام يذكر أن هذا كله بحكمة وعدل.



هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ

ءَانِيَةً ﴿٥٠﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٥١﴾ لَا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٥٢﴾

♦ التأمل

هل أتاك حديث الغاشية - سؤال استفهامي يفتح الباب على حدث يغشى الناس ويعمهم. وجوه
يومئذ خاشعة - ذلة بعد كبرياء، عاملة ناصبة - تعب بلا فائدة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين
آنية - ماء بالغ الحرارة. ليس لهم طعام إلا من ضريع - شوك جاف لا يؤكل عادة، لا يسمن ولا
يغني من جوع - طعام بلا فائدة تذكر.



سورة الكهف • الآية 29

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ^{صَلِّ}فَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ ^جبِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

♦ التأمل

إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها - إحاطة كاملة، نكيمة من نار تحاصرهم من كل جانب،
لا منفذ منها. وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - استغاثة تنتهي بمزيد من الألم بدل
الإغاثة. بئس الشراب وساءت مرتفقاً - ختام يصف سوء هذا المصير من كل جانب.



يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ

♦ التأمل

يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - حوار مهيّب بين الخالق وجهنم، سؤال عن الامتلاء، وجواب يحمل جوعاً لا يشبع: هل من مزيد؟ هذا الجواب يصور اتساع جهنم الهائل، الذي لا تسده أعداد الداخلين إليها مهما كثروا.



المحور الثاني

أحاديث في وصف النار



عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحدٌ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحدٌ»

رواه مسلم

♦ التأمل

لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحد - حديث يوازن بين طرفين: عظمة العقوبة التي لو علّمت لأزالت كل اتكال على العمل وحده، وسعة الرحمة التي لو علّمت لأزالت كل يأس مهما بلغ الذنب. هذا التوازن الدقيق يمنع طرفي الإفراط: الأمن من مكر الله، واليأس من رحمته.



عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً رجلٌ توضعُ في أُنْحَصِ قدميه جمرتانِ يغلي منهما دماغُهُ»

متفق عليه

♦ التأمل

إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً رجلٌ توضعُ في أُنْحَصِ قدميه جمرتانِ يغلي منهما دماغُهُ - وصف لأخف درجات العذاب، ومع ذلك يبلغ حد الغليان الدماغي من مجرد جمرتين تحت القدمين. هذا الوصف، رغم أنه لأهون العذاب، يكفي وحده لتصور هول ما هو أشد منه.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حُفَّتِ النارُ بالشهواتِ،
وحُفَّتِ الجنةُ بالمكارهِ»

متفق عليه

♦ التأمل

حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره - وصف دقيق لطبيعة الطريقين: طريق النار مُزِين بكل ما تشتهيهِ النفس من متعة عاجلة، فيسهل الانزلاق إليه. وطريق الجنة مُحْفُوف بما تكرهه النفس: الصبر، الجهاد، ترك الشهوة، فيصعب السير فيه إلا بمجاهدة.



عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في صفة تشهد النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»

رواه مسلم

♦ التأمل

علم النبي ﷺ أصحابه أن يقولوا في آخر التشهد: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم - دعاء يُختم به كل صلاة تقريراً، تذكيراً متكرراً لا يُنسى. أن تُختم صلاتك يومياً، مرات عديدة، بالاستعاذة من النار، يجعل هذا الخطر حاضراً في الوعي باستمرار، لا مجرد فكرة عابرة تُنسى بمرور الوقت.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحرّ فَنَ فيج جهنم، وأشد ما تجدون من الزمهرير من زمهريرها»

متفق عليه

♦ التأمل

اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف - مشهد عجيب: النار نفسها تشتكي من شدة اشتعالها الداخلي، فيؤذن لها بنفسين، أحدهما

نُحْسَهُ حَرًّا شَدِيدًا فِي الصَّيْفِ، وَالْآخِرَ بَرْدًا قَارِسًا فِي الشِّتَاءِ. هَذَا الْحَدِيثُ يُجْعَلُ مِنْ أَشَدِّ أَيَّامِ السَّنَةِ حَرًّا وَبَرْدًا تَذَكِيرًا مُبَاشِرًا بِجَهَنَّمَ.



عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

متفق عليه

♦ التأمل

من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار - تحذير صارم موجه تحديداً لمن يفترى على النبي ﷺ قولاً لم يقله، لخطورة هذا الفعل: تحريف الدين ونسبة الباطل إلى مصدر الوحي. فليتبوأ - أمر بمعنى التهديد، كأن مقعده في النار محجوز مسبقاً بمجرد ارتكابه هذا الفعل.





الفصل التاسع

وصف إبليس والشياطين

قصة إبليس ووعيده، وصفة الشياطين وكيدهم، في القرآن
والحديث



آيات وأحاديث
تأمل وجداني – وتأمل تحليلي

من سلسلة الكتيبات الإيمانية

المحور الأول

آيات في قصة إبليس ووعيده



وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا
فَأَخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾

♦ التأمل

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - لحظة الانقسام الأولى
في تاريخ الخليقة: أمر واحد، واستجابة الجميع إلا واحداً. ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك - سؤال إلهي
مباشر، فيأتي الجواب كاشفاً عن جوهر الكبر: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين -
مفاضلة بمقياس مادي واه. فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إنك من الصاغرين - عاقبة
فورية: من ادعى الكبر، ألبس الصغار.



قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ
 أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾
 قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾

♦ التأمل

قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين - سؤال يحمل عتاباً مباشراً باسمه. قال لم أكن لأسجد
 لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون - إصرار على الرفض، بتفصيل أدق لأصل آدم. قال
 فخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين - طرد ولعنة ممتدة إلى يوم الدين، عقوبة
 تلازم الكبر الذي لم يتزحزح رغم المساءلة المباشرة.



سورة الحجر • الآية 36 - 38

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

♦ التأمل

قال رب فأنظرنني إلى يوم يبعثون - أول طلب من إبليس بعد الطرد واللعنة، ليس توبة ولا رجاء
 مغفرة، بل مهلة إلى يوم البعث، رغبة في الاستقرار لا في العودة. قال فإنك من المنظرين إلى يوم
 الوقت المعلوم - استجابة إلهية للطلب، لكنها مقيدة بيوم معلوم عند الله وحده، لا مطلقة كما طلب

إبليس.



قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

♦ التأمل

قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين - تعميم في التوعد يقابله استثناء واحد محدد: المخلصون، من خلصت نيتهم لله وحده، هم وحدهم خارج نطاق سلطان إبليس. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين - تأكيد إلهي يحصر سلطان إبليس في من اختار اتباعه طواعية.



قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ
لَأُتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

♦ التأمل

فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم - أول رد فعل لإبليس بعد طرده: لا توبة، بل تجد. ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم - إحاطة من كل جهة، لا يترك جانباً واحداً دون كمين، ولا تجد أكثرهم شاكرين - غاية هذا الحصار: أن يقطع طريق الشكر عن أكثر بني آدم.



سورة النساء • الآية 118 - 120

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَا أُغْنِيَهُمْ وَلَا أَزْجِيَهُمْ فَلَئِمْتُكُنَّ أَزْوَاجًا لِلشَّيْطَانِ وَلَئِمْتُكُنَّ لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴿١١٩﴾
فَلْيَغْضَبُوا اللَّهَ وَمَنْ يَغْضَبِ اللَّهَ يَكُنْ فِي سُلْطَانٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٠﴾
خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١٢١﴾ يَعْدَهُمْ وَيُمَيِّنُهُمْ وَمَا يَعْدَهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٢﴾

♦ التأمل

لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً - طرد إلهي، ورد تجد من إبليس: نصيب محدد يزعم أنه سيقطعه من عباد الله. ولأضلهم ولأغنيهم ولأزجيهم - ثلاثية الإفساد: إضلال، وتمنية بأماني كاذبة، وأمر بخالفة الفطرة. وما يعدهم الشيطان إلا غروراً - ختام يفضح كل وعوده.

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُ أَخْرَجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزَزَ مِنْ
أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا
﴿٦٥﴾

♦ التأمل

قال أَرَأَيْتَكَ هذا الذي كَرَّمْتَ عليّ لئن أَخْرَجَنِي إلى يوم القيامة لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا - حسد صريح على تكريم آدم، ووعد باستئصال ذريته عن الحق. واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم - تفويض إلهي (بمعنى الإذن الكوني لا الرضا) بأدوات إغواء متعددة. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - ختام يعيد رسم الحد.



وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنَا
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

♦ التأمل

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدهم وعدهم فأخلفكم - اعتراف صادم من الشيطان نفسه يوم القيامة: أن وعد الله كان حقاً، ووعدته هو كان كذباً. فلا تلووموني ولوموا أنفسكم - متصل كامل من المسؤولية، يلقيها كاملة على من اتبعه طواعية. ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي - عجز متبادل يوم لا ينفع فيه نصير.



سورة الحشر • الآية 16

كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

♦ التأمل

كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين - مثل يفصح خيانة الشيطان النهائية: يدعو إلى الكفر بالحاح، فإذا استجاب له الإنسان فعلاً، تبرأ منه

فوراً، بل وادّعى الخوف من الله، في مفارقة ساخرة: من دعا إلى الكفر يخشى الله في اللحظة التي حقق فيها هدفه!



إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا
مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ

♦ التأمل

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا - أمر صريح لا مجال فيه للمهادنة: العداوة يجب أن تكون متبادلة ومعلنة، لا مجرد اقتراض سلمي. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - كشف لغاياته النهائية: ليست المتعة الدنيوية هدفه، بل جرّ أتباعه إلى مصيره هو نفسه في النار.



المحور الثاني

أحاديث في الشيطان وكيدہ



عن صفية بنت حيي رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ
ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»

متفق عليه

♦ التأمل

إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم - تشبيه يكشف عن قرب لا يخطر على بال: ليس
الشيطان قوة خارجية بعيدة، بل يجري في الإنسان كجريان الدم، في كل عرق. هذا القرب الشديد
يفسر سرعة استجابة النفس لوسوسته أحياناً، فليس بينها وبينه مسافة تحتاج إلى قطعها.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ فَتَعَوَّذُوا
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا»

متفق عليه

♦ التأمل

إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها رأت شيطاناً - ربط بين ظاهرة حسية
مألوفة وحدث غيبي غير مرئي، يمنح الحيوان قدرة إدراكية تتجاوز الإنسان في هذا الجانب. هذا
الحديث يحول لحظة عابرة يسمعها الإنسان كثيراً دون انتباه إلى تذكير عملي بالاستعاذة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاثاً، فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومه»

متفق عليه

♦ التأمل

إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاثاً فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومه - توجيه عملي بسيط يربط فعلاً جسدياً صغيراً بمعنى غيبي: أن الشيطان يبيت في أعلى موضع من الأنف طوال الليل. هذا الحديث يحول أبسط أفعال الاستيقاظ الصباحي إلى طقس تحصين يومي، بلا كلفة ولا مشقة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذُ باللهِ ولينتَه»

متفق عليه

♦ التأمل

إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته - وصف دقيق لتسلسل وسوسة فكرية تبدأ بأسئلة بريئة عن الخلق، ثم تتصاعد تدريجياً حتى تبلغ سؤالاً عبيثاً. والعلاج هنا ليس الجدال، بل الاستعاذة والانتها الفوري عن متابعة هذا المسار.



عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء»

رواه مسلم

♦ التأمل

إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء - مشهد يكشف عن حرمان الشيطان الفعلي من الدخول والمشاركة، بمجرد ذكر بسيط عند عتبة

البيت وعند بداية الطعام. هذا الحديث يجعل من أبسط الأذكار اليومية حصناً فعلياً يحرم الشيطان من موطن قدم في أخص تفاصيل حياة المسلم.



عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لَابْنَ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَسْلُمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ... ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ...»

رواه أبو داود والنسائي وأحمد، وحسنه الألباني

♦ التأمل

إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أَسْلُمُ وتذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة... ثم بطريق الجهاد - وصف تفصيلي لكمين متعدد المراحل: الشيطان يترصده عند كل منعطف كبير في حياة المؤمن، فإن نجا من كمين، وجد كميناً آخر ينتظره في المرحلة التالية.



خاتمة الكتاب

وبعد؛ فهذه رحلة قرآنية وحديثية طافت بين تسعة محاور، بدأت بجلال الله وجماله، فامتدت إلى رسوله المصطفى ﷺ، فأنبأته المصطفين، فلأثكته المسبحين، فعباده المؤمنين والمتقين، حتى بلغت دار القرار: جنة نُشْتَهَى، وناراً تُنْتَقَى، وعدواً يُحْذَرُ منه: إبليس وجنوده.

في كل محور وقفت الآيات والأحاديث شاهدة، وتردد صدى تأمل أدبي وجداني يخاطب القلب بلغة ابن القيم والرافعي والغزالي. فلم يكن هذا الكتيب سرداً معرفياً باردًا، بل محاولة لتقريب القلب من مائدة القرآن والسنة.

من عرف الله بجلاله وجماله أحبه ورجاه، ومن عرف رسوله وأنبياءه اقتدى بهم، ومن عرف ملائكته استحيا من ربه، ومن عرف صفات المؤمنين والمتقين سعى أن يكون منهم، ومن عرف الجنة شمر إليها، ومن عرف النار فرّ منها، ومن عرف عدوه إبليس حذره واتخذ عدواً كما أمر.

فإن كان في هذه الصفحات سطرٌ واحد أضاع قلباً، أو ذكرٌ غافلاً، أو ردٌّ شاردًا، فذلك من فضل الله وحده، وإن كان فيها خطأ أو تقصير فمن النفس والشيطان، والله ورسوله منه بريثان.

نسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، وأن يجعلنا ممن عرفوه فأحبوه، واتبعوا رسوله فنجوا، وأن يحشرنا في زمرة المتقين، تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✽

المصادر والمراجع

♦ القرآن الكريم

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، وفق رسم المصحف العثماني.

♦ كتب الحديث

كتب الحديث المعتمدة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه — مع اعتماد أحكام الشيخ الألباني رحمه الله على ما لم يكن في الصحيحين، والتنقيص على درجة كل حديث عند إirاده.



إعداد

د. محمد عمارة

تم إعداد هذا الكتيب وصياغته وتنسيقه بمساعدة تقنية الذكاء الاصطناعي

